أقباط بيت المقدس وتأثيرهم في الحياة الثقافية والعمرانية في القدس الشريف

أ.د. ماهر خضير
أمين سر الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية

مقدمة

يتناول هذه البحث طائفة مهمة عاشت في القدس طوال قرون عديدة ،وترك وجودها بصمة مثلها مثل الطوائف المسيحية الأخرى التي عاشت في كنف بيت المقدس ودلت على التعايش الإسلامي المسيحي ،حيث حرص الأقباط على التقرب من هذا المكان المقدس ومناصرة القدس واهلها وإبقاء الوجود القبطي قريبا منها وقد كتب عدد ليس بقليل عن الأقباط ولكن الكتابات التي تتحدث عن الوجود القبطي في فلسطين وبيت المقدس قليلة فآثرت أن أبادر بالبحث ووضع رؤية مبسطة حول هذا الوجود إضافة الى بيان حالة العلاقة الموجودة منذ الأزل بين مصر الكنانة وفلسطين الكنعانية .وبيان مدى وحدة الشعبين وأنهما أمة واحدة لاتفرقها المؤامرات الخارجية والإرهاصات الداخلية رغم تعدد بعض الخلافات القبطية الإسلامية على مدى سنوات قديمة الا أن الأكيد اللحمة تغلب على الشعبين..وسيشمل هذا البحث التعريف بعادات وتقاليد الشعب الواحد وعلاقته بفلسطين واستقرار بعضهم في بيت المقدس ثم مختلف جوانب الحياة الثقافية والعمرانية لاقباط بيت المقدس وأهم معالمها والعدد التقريبي للاقباط في فلسطين طبقا لاحصائيات بعض الرحالة والباحثين. وسأتكلم عن التحام الألم القبطي الفلسطيني والمعاناة المشتركة من بطش الاحتلال وتقاسم نفس المصير في القدس ولن انسى أن اتكلم عن دير السلطان والذي شكل نقطة تحول في العلاقات القبطية مع طوائف أخرى في القدس وقد ذكر هذا الموضوع كثيرا في الوثائق العثمانية والمراسلات المهمة في القدس .ولاشك أن للاقباط في بيت المقدس تأثير في الحياة الثقافية والعمرانية مهمة ولها بصمات واضحة..وستكون خطة البحث كالتالي:

المبحث الأول: نظرة عامة على العلاقات القبطية الفلسطينية

المطلب الأول: استقرار الأقباط في فلسطين

المطلب الثاني: العلاقات القبطية الفلسطينية

المبحث الثاني: العمارة القبطية في القدس الشريف

المطلب الاول: العمارة القبطية ومعالمها في القدس الشريف

المطلب الثاني : الفن القبطي وتأثيره علي الحياة الثقافية في القدس الشريف

النتائج والتوصيات....أهم المراجع

DOI:10.12816/0040823

المبحث الأول
نظرة عامة علي العلاقات القبطية الفلسطينية
المطلب الأول
استقرار الأقباط في فلسطين

أولاً : تاريخ الوجود القبطي في فلسطين :-

- يرجع الوجود القبطي في فلسطين كما ذكر أحد بطاركة القدس الي ألفي عام [1] وتُرجع معظم الدراسات نشأة الوجود القبطي في القدس الشريف الي الزيارة للأماكن المقدسة في المدينة منذ اكتشاف الإمبراطورة هيلانة للصليب المجيد في عام 325 م وتأسيسها لكنيسة القيامة باشتراك البطريرك القبطي (أثناسيوس) في عملية تدشين الكنيسة مع بطريركيّ أنطاكية والقسطنطينية، ومن دلالات هذا الوجود قصة القديسة مريم المصرية التي حضرت الي القدس في عام 382هـ حيث استقرت هناك وذاع صيتها حتي انه بعد وفاتها تم تشييد كنيسة علي إسمها مجاورة لكنيسة القيامة [2]

- واستمر وجود الأقباط في القدس مع الفتح الاسلامي له فقد نص كتاب العهدة العمرية علي ذكر الوجود القبطي في القدس ضمن عهد الأمان للطوائف المسيحية كافّة في المدينة المقدسة مما أدّى الى إستمرار بناءالكنائس والأديرة القبطية فيها بعد ذلك ، ففي القرن التاسع الميلادي تم انشاء كنيسة قبطية عرفت بكنيسة المجدلانية فيما يُعدّ بناء دير السلطان أشهر مظاهر هذا الوجود الذي جاء بعد استقرار بعضهم في الأراضي المقدسة تقربا من السيد المسح – عليه السلام – وأقاموا الأديرة واتخذوها اقامة دائمة وفق الشعائر والطقوس القبطية، والتي تقضي الحياة ضمن هذه الاديرة التي انشأوها ورعاية الكنيسة بما فيها، وقد يأتي ذلك ضمن التبشير القبطي في انحاء مختلفة في العالم الا ان الحالة في القدس قد تختلف بما تمثله المدينة من قدسية للمسيحيين ، فجعل الأقباط مثلها مثل باقي الطوائف لها أنظار علي المدينة المقدسة والج الدائم للمدينة، وكتمثيل مهم ويربط الأقباط بهذه المدينة حيث يسمّي من يقوم بالحج الي المقدس (بالمقدس) حيث كانوا يخرجون عادة الي الأراضي المقدسة في شكل قافلة تتحرك من المطرية في ضواحي القاهرة وتتجه شرقاً الي الخانقاه السرياقوسية لتأخذ الدرب السلطاني عبر سيناء الي العريش وغزه ثم الرملة وأخيرا الي القدس .. وبالاضافة الي المؤونة والزاد التي يتم ارسالها بصحبة قافلة الحج القبطي ، يرسل أيضاً مؤونة أخري اضافية عن طريق البحر تنقل من القاهرة الي ميناء دمياط ومن هناك الي يافا بحراً ثم الي القدس خاصة في بعض الأحيان عند انقطاع الدرب السلطاني نتيجة تمرد العربان وقطعهم للطريق، وفي القرن العشرين كان خط السكك الحديدية الي القدس هو الطريق المفضل لمعظم الأقباط ،وتذكر المصادر التاريخية بعض الإشارات القليلة حول وجود نشاط تجاري بصحبة قافلة الحج القبطي الي القدس يشابه قافلة حج المسلمين المصريين الي الحرمين الشريفين، حيث ارتبط به العديد من مظاهر النشاط الإقتصادي سواء علي الطريق او في المدن المقدسة ذاتها
- لكن حالياً ومع ظروف الاحتلال الاسرائيلي اختلفت طريق الحج مع حالة الحصار والإغلاقات الدائمة والحواجز التي تفرضها اسرائيل وسيطرتها علي طريق الحج ، فغالباً أصبح عبر الأردن ثم جسر اللمبي فأريحا باتجاه القدس أو عبر

---

[1] ميسة أبو غزالة : الأقباط في القدس شاهد ومسيرة – القبس الكويتية عدد 13068 ص 26

[2] محمد عفيفي : الوجود القبطي في القدس حتي القرن العشرين : أبحاث الندوة السادسة (هوية القدس العربية والاسلامية – عمان) 5 تشرين أول 1995م .

مطار بن غوريون لحاملي الجوازات الأجنبية وتوقف الحج من مصر الي فلسطين بعد قرار البابا شنوده بمنع السفر الي القدس طالما هي محتلة .

- وقد شمل الوجود القبطي الشام بأكمله الا ان التحول في هذا الوجود هو ما تم في عصر البابا كيرلس الثالث في النصف الأول من القرن الثالث عشر تحت رعاية بطريرك أنطاكيه حيث أنشأ البابا كيرلس الثالث أول مرة مطرانية قبطية للقدس والشام ورسم لها أحد الأساقفة الأقباط وربما دفعه الي ذلك التنافس بين كرسي انطاكية والاسكندرية فضلاً عن هجرة بعض الاقباط من مصر واستقرارهم في القدس وبعض المدن الشامية وحاجة هؤلاء الي راع قبطي لهم ومنذ ذلك الوقت وحتي الآن أصبح لمطرانية القدس مركز مهم في الاكليروس القبطي .

ثانياً : عدد الأقباط في فلسطين وأعيادهم :-

1- اختلف المؤرخون والمستشرقون في تحديد عدد الأقباط في فلسطين عبر التاريخ وتعدادهم واستقرارهم في القدس، ولكن العدد ازداد عندما شهد في مصر هجرة قبطية الي دول أوروبا وأمريكا وكندا منذ بداية الستينات وقليلاً جداً توجهوا نحو الدول العربية ومن بينها فلسطين خاصة في القدس الشريف وقد قدر عدد السكان الأقباط في القدس وفلسطين حوالي 2500 نسمة منهم 1500 يعيشون في أراضي فلسطين سنة1948منذ زمن القائد سليمان القبطي الذي جاء مع الحملة الفرنسية من مصر واستقر شمال فلسطين وكوّن الطائفة القبطية [1] وقد ذكر د . محمد العفيفي انه لا يتوافر سوي بعض التقديرات من جانب بعض الرحالة أو بعض رجال الدين بهذا الشأن وهي في مجملها لا تعدو أن تكون سوي تقديرات لا تعطي لنا صورة حقيقية عن حجم الوجود القبطي في القدس وتطوره عبر القرون . في القدس وغزه واللّد وحيفا [2] دون أن يضع رقم معين .

2 - تقديرات الرحالة الغربيين لعدد الأقباط في فلسطين :

- في عام 1917م قدر أحد الرحالة الغربيين عدد الأقباط في القدس حوالي 50 قبطياً.
- وفي عام 1837م تحدث مصدر آخر عن وباء الكوليرا الذي عصف بالقدس آنذاك وذكر أعداد من مات من الطوائف المسيحية بالقدس مقدراً عدد من راح من الأقباط في هذا الوباء 7 أفراد .
- وفي عام 1835م ذكر أحد الرحالة ان الاقباط في القدس من الناحية العددية لم يكن كبيراً اذا قارناه بأعداد بعض الطوائف المسيحية الأخري وحدد هذا المصدر عدد المسيحين الروم بحوالي ألفين ، وعدد الكاثوليك بحوالي تسعمائة والأرمن حوالي 350فرداً مع ذلك تتفوق الجالية القبطية في القدس من حيث العدد علي بعض الجاليات المسيحية الأخرى اذ يقدر عدد السريان في القدس آنذاك بحوالي عشرين ونفس الرقم بالنسبة للأحباش وهذا يعني ان عدد الأقباط لم يكن كبيراً كما ذكر هذا المصدر [3]
- ولكن الأنبا باسيليوس المطران القبطي للكرسي الأورشليمي والشرق الأدني حدد وعدد الأقباط في كل فلسطين في عام 1948 م بحوالي عشرة آلاف نسمة وهو رقم كبير قياساً لما ذكر .

---

[1] انظر : ميسة أبو غزالة : مرجع سابق صـ 26

[2] ابو سيف يوسف : الأقباط والقومية العربية – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ط 1987 م صـ 21

[3] مايكل عادل : الأقباط والقدس بين الحق الضائع والحلم الممنوع – صحيفة روز اليوسف العدد 1912 القاهرة 2011م

- وتحدث مصدر آخر عن عدد الأقباط في القدس في خمسينيات القرن العشرين وقدره بحوالي خمسمائة نسمة ويري هذا المصدر ان هذا الرقم قد إرتفع ليصل الي حوالي ألف نسمة عند عام 1970 م وذكر أيضاً أن عدد الأقباط في القدس تجاوز 10 آلاف نسمة حتي مثول الألفية الثانية .
- وأري ان تحديد رقم محدد للوجود القبطي في القدس لن يكون دقيقاً في الحياة الفلسطينية ولكن لا يمكن أن نقلل من الحجم الموجود وتأثيرهم الظاهر علي الحياة في القدس خاصة وأن عائلات كبيرة تنحدر من أصول قبطية حالياً وهي عائلات مشهورة ومعروفه ولعل أهمها عائلات خوري وحبش ورزق وجدعون وقبطة ومناريوس ، وحلبي ومينا ومرقص وهذه العائلات لها تأثير كبير في الثقافة والسياسة والاقتصاد الفلسطيني مما يبين مدي تطور الوجود القبطي في القدس عبر العصور [1] .

3 – أعياد الأقباط وعاداتهم في بيت المقدس :-

- إن الاحتفالات القبطية في القدس لا تبتعد كثيراً عن مجمل الأعياد والتقاليد القبطية المرتبطة باحتفالات الأقباط بالأعياد وبمصر سواء في المواسم أو الأعياد أو العادات المتوارثة، وعند رصد الأعياد القبطية في القدس نجد أن هناك **عيد البشارة** وأصلة بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليها السلام **وعيد الزيتونة** ويعرف بعيد الشعانين ومعناه التسبيح وعاداتهم في هذا العيد بالقدس ان يُخرجوا سعف النخيل من الكنيسة ويرون انه يوم ركوب المسيح (العنو، وهو الحمار في القدس) ودخله الي صهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو يأمر بالمعروف ويحث علي عمل الخير وينهي عن المنكر،. عيد الشعانين من مواسم المسيحين بمصر التي تتزين فيها الكنيسة وهناك **عيد الفصح** وهو العيد الكبير **وعيد خميس الأربعين** ويعرف عن أهل الشام (بالمسلاق) ويقال **عيد الصعود** وأيضاً يوجد عيد الخميس وعيد الميلاد **وعيد الغطاس** وغيرها من الاعياد الصغيرة الأخري **كعيد الأربعين وخميس العهد وسبت النور ويوم النيروز** [2]

ويحتفل الأقباط في القدس برأس السنة القبطية في 11 ايلول وهو **عيد الفيضان** الذي يحي ارض مصر وهو أول ايام السنة حسب المعتقدات القديمة .

4 – المأكولات القبطية : –

من أشهر المأكولات القبطية التي نشاهدها في أعياد الأقباط في القدس ما هو المتداول حتي اليوم الجوافة والتمر كتقليد قديم في رأس السنة القبطية أما في شم النسيم فيكون أكل الأسماك المملحة والبيض الذي يلون بألوان الربيع ومن المأكولات المشهورة أيضاً والمتوارثة الفول المدمس ، والكشري وشرب الشاي الثقيل [1]

المطلب الثاني

العلاقات القبطية الفلسطينية

- إن العلاقة بين الأقباط والفلسطينيين قديمة وجذورها تعود الي أصول كل من الطرفين فهي امتداد لعلاقة المصريين الفراعنة بالكنعانيين الفلسطينيين والتي شهدت تطوراً كبيراً وهذا ما اكده وأثبته المكتشفات الأثرية في فلسطين من علاقة قوية بين كنعان و الفراعنة ومما أكد تكاملية العلاقة اكتشاف هام لنقوش (تل العمارنة) في مصر 1400 ق . م وفي الكرنك وجد أسماء 119 مدينة كنعانية التي احتلها تحوتميس (طتميس) فرعون مصر

---

[1] المرجع السابق

[2] عبد المجيد دياب / مرجع سابق صـ 242

[1] المرجع السابق صـ 242

حين غزا فلسطين في حين أن اسم (حارو) هو الاسم الذي أطلقه المصريون علي أرض كنعان [2] وأيضاً دلت المكتشفات أن العلاقات بين الكنعانيين والفراعنة ترجع الي اوائل الألف الثالث قبل الميلاد، بدأت تجارية ثم تعززت حتي شملت عدة أسر مصرية فالمقتنيات الأثرية المصرية التي وجدت في فلسطين خلال الدولة الوسطي كثيرة شملت التماثيل والأختام المصرية في مجدو وتل عجول جنوب غزة ولم تتوافر النصوص التي تعلل وجود المصريين وأثارهم في فلسطين أيام الأسرة الثانية عشرة ولهذا تضاربت آراء المؤرخين فأرجع بعضهم ذلك الوجود الي الاستعمار السياسي في حين أرجعها آخرون نتيجة للعلاقات الدبلوماسية والتجارية .

- وما يعتقد ان الجزء الجنوبي من فلسطين كان تحت الحكم الفرعوني أو التبعية وذلك للصلات التجارية المهمة والعلاقات الكبيرة بينهم وقد سمي المصريون الطريق الموصل الي فلسطين (طريق حورس) وكان يبدأ عند (سيل) علي حدود قرية (تل ابو صفي) بالقرب من القنطرة ويعبر الصحراء ماراً بمستنقعات الملح الي العريش وغزة في رحلة خطرة وشاقة وكانت غزة في عهد الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة المقر الرئيسي للجيش المصري المحتل لفلسطين ولما هاجم طتميس الثالث (تحتمس) 1501 – 1447 ق . م بلاد الشام اتخذ غزة مركز قاعدة الهجوم [1] وبعد وقت من الزمن تطورت العلاقة خاصة باعتناق أقباط مصر المسيحية فارتبطت ارتباطاً قوياً بالأرض المقدسة والتي شهدت منشأ المسيح – عليه السلام – وأصبحت مقصد الحجاج المسيحين للمقدسات علي رأسها كنيسة القيامة التي بنتها الملكة هيلانة والدة الامبراطور قسطنطين الاول عام 325م وشارك في تدشينها بطاركة الاسكندرية وأنطاكيا والقسطنطينية، وتوافد المسيحيون من انحاء العالم كافّة الي القدس ومن بينهم الأقباط واستمر ذلك لقرون حتي الفتح الاسلامي والذي أعطي الامان للطوائف المسيحية عليهم وعلي ممتلكاتهم خلال تسليم (صفرطونيوس) مفاتح بيت المقدس للمسلمين ، فأصدر عمر بن الخطاب العهدة العمرية والتي اكدت حق وجود المسيحين في القدس بما فيهم الأقباط .

المبحث الثاني
العمارة القبطية في القدس الشريف
المطلب الأول
العمارة القبطية ومعالمها

- يشتهر الأقباط بالبناء وعمارة المعابد الكبيرة كأسلافهم الفراعنة حيث ذكر الأب أنطونيوس أن ذلك كان سبباً في استعانة الملكة هيلانة بهم للمساعدة في بناء كنيسة القيامة والبطريركية القبطية التي تقع بمحاذاتها .ويقول أن للأقباط أملاكاً عديدة ، مثل : **سوق الأقباط** الذي يمتد من باب الخليل حتي كنيسة القيامة في القدس وحي الأقباط الذي يمتد من كنيسة القيامة حتي سوق خان الزيت وهو خاص بسكن العائلات القبطية والمدرسين، ويوجد بالحي بطريركية الأقباط الأرثوذكس ، ومدرسة ، وكنيسة ، ودير ، إضافة إلي أديرة كثيرة في أريحا في فلسطين أما في غزة فقد وجدت أرضيات بيزنطية تحتوي علي الطراز القبطي [1] من كتابات ورسومات وذكر أنّه بني فيها كنيسة العذراء القبطية، كما أن للأقباط في المدينة المقدسة مكتبة يوجد بها مقتنيات مختلفة وكتب ووثائق خاصة بهم، وحفلت الوثائق القبطية بالعديد من حجج الأوقاف المرصودة علي القدس ويرجع ذلك إلي وجود العديد من

---

[2] حسين عمر حمادة : آثار فلسطين – دمشق ط , 1983 م صـ 23

[1] عبد الحميد ابو النصر – غزة آثار وصور غزة ط 1 2011 صـ 19

[1] عبد الحميد أبو النصر : مرجع سابق صـ 51

الكنائس والأديرة القبطية في المدينة، ومعلوم أن الطبيعة الدينية والاجتماعية لنظام الوقف لم يكن حكراً علي الأماكن المقدسة في القدس من جانب أثرياء الأقباط بل كانت معظم الأوقاف القبطية مرصدة من جانب الطبقة الوسطي القبطية ،وقد وجدت العديد من الحجج التي تشتمل علي وقف عمارات صغيرة أو حتي جزء من عقارات واختلفت أوضاع هذه الأوقاف فبعضها كان مرصداً علي الواقف ثم علي النسل والذرية علي أن تؤول في حالة انقطاع الذرية الي الأماكن المقدسة في القدس وبعضها الآخر يتم رصده علي بعض الأديرة القبطية في مصر وفي حالة تعذر صرف العائد علي هذه الأديرة أو زوالها تؤول هذه الأوقاف إلي القدس، كما كان هناك بعض الأوقاف المرصدة مباشرة للقدس، وبصفة عامة كان معظم الأوقاف المرصدة توضع تحت اشراف البابا القبطي في القاهرة وينوب عنه المطران القبطي في القدس، ولكن في حالات نادرة وقف بعض الأقباط أوقافاً علي الحرم القدسي بصفة عامة دون تخصيص لدير أو كنيسة معينة، وفي هذه الحالة توضع هذه الأوقاف تحت اشراف (ناظر أوقاف الحرم القدسي) وهو من المسلمين. والجدير بالذكر أن أشهر ما تمتلك الكنيسة القبطية من المؤسسات ذات الطابع المدني المدارس القبطية، حيث أقامت بطريركية الأقباط في القدس الكلية الأنطونية للبنين، وبعد ذلك كلية الشهيدة دميانة للبنات ، وهما مدرستان يحصل فيهما الطالب علي شهادة الدراسة الثانوية والالتحاق بهما لا يقتصر فقط علي أبناء الطائفة القبطية فحسب ، بل فتحت أبوابها أمام الجميع بمن في ذلك المسلمون . [1]

- وقد حرصت الرابطة القبطية في القدس علي إصدار العديد من النداءات والمطبوعات الإرشادية الي جانب مجلة دورية تصدر باسمها واهتمت بإنشاء بعض الملاجئ القبطية في القدس لخدمة الأطفال الأيتام، وجمع المساهمات المادية والعينية لهم. فمن أهم النشرات التي كانت تصدر للأقباط في القدس، نشرة رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس في ثمانينات القرن الماضي، واتخذت الرابطة موقفاً حاسماً من مسألة القدس، إذ رفع شعاراً (إن نَسِيتك يا أورشليم تنسني يميني) .

ويعتبر ما سجله أبو المكارم في تاريخه عن الكنائس عام 1281م أول حصر دقيق للكنائس القبطية في القدس، حيث ذكر وجود هيكل قبطي داخل كنيسة القيامة، وكنيسة باسم المجدلانية ، وكنيسة ثالثة هي التي دخلت في دير السلطان، ومن أهم المعالم القبطية حسب حصرها من المؤرخين والتي تمثل التاريخ القبطي والعمارة القبطية في القدس تمثلت في :

1 – دير السلطان :- [2]

يعتبر هذا الدير من أهم الأديرة القبطية في القدس الشريف، وأهم معلم من معالم الوجود القبطي فيها ،حيث شكل هذا الدير حالة جدل فرضت نفسها علي كتابة تاريخ الأقباط في الأرض المقدسة لتعاقب الأحداث فيه، والأطماع المتكررة للإستيلاء عليه مما جعل الأنظار تتوجه له أكثر من ذي قبل وخروج الأقباط عن صمتهم والمطالبة المباشرة بإرجاعة حيث شكل نقطة تحول للوجود القبطي في القدس وصراع من أجل البقاء، ويعتبر هذا الدير الوحيد من بين الأديرة القبطية الذي يحمل اسماً غير قبطي وهناك مشكلة تاريخية في نسبة هذا الدير إلي أي من

---

[1] عبد الحميد ابو النصر : الأقباط في بيت المقدس – دار المعارف الفلسطينية بنك معلومات القدس (2) جامعة النجاح الوطنية نابلس ط1 2014

[2] محمد عفيفي : الوجود القبطي في القدس حتي القرن العشرين ، أبحاث الندوة السادسة (هوية القدس العمومية والاسلامية – عمان) 5 تشرين أول 1995م

السلاطين المسلمين، إذ يرجعه البعض إلي عصر صلاح الدين الأيوبي الذي أعطاه مكافأة لبعض موظفيه من الأقباط، ويري البعض الآخر أن سر هذه التسمية تعود إلي استضافة الدير لموظفي السلاطين الذين يعودون إلي القدس، بل ويرجع البعض تسميته دير السلطان إلي احد السلاطين العثمانيين وهو جلال الدين شاه. وإن كان هذا الرأي هو أضعف الآراء من حيث الدقة التاريخية[1] الا أنه لا ينكر علي أن هذا الدير هو معلم قبطي له تأثير كبير علي الوجود الديني والمعماري القبطي .

موقعه :

- يقع دير السلطان في مدينة القدس الشريف علي السطح الملاصق لكنيسة القديسة هيلانة، وكنيسة الملاك، والممر الموصل من كنيسة هيلانة الي سور كنيسة القيامة وهو بذلك يقع داخل نطاق المنطقة المقدسة التي شهدت ختام السيد المسيح عليه السلام [2] .

أهميته : [3]

لدير السلطان أهمية خاصة عند الأقباط لأنه طريقهم المباشر وحلقة الوصل بين دير مارانطونيوس حيث مقر البطريركية المصرية علي كنيسة القيامة، وينقسم الدير الي جزأين الجزء الأول خاضع لقوانين (الاستاتس كيو) ويقصد به الحفاظ علي الوضع القديم للدير ولايحق للاحتلال التغيير في معالمه ،ويقع في الوسط تقريباً لأنه عبارة عن سطح مغارة الصليب، الذي هو جزء من كنيسة القيامة لذلك يخضع لقوانين الاستاتيس كيو. والجزء الآخر خارج عن هذه القوانين ويقع في الجهة الشرقية ،والقبلية وكان به بعض المباني القديمة عبارة عن حجرات أقيم معظمها خارج الأستاتيس كيو آخر داخله [4] وللوصول من هذا الدير إلي كنيسة القيامة يجب الدخول من باب كنيسة الأربع حيوانات، ونزولاً منها إلي كنيسة الملاك والخروج من بابها الي ردهة كنيسة القيامة [5] وفي أواخر سنة 1889 م قدم المطران المصري في القدس طلباً الي مجلس مدينة القدس للسماح بتوسيع باب الدير الموجود بالحائط الشمالي له، وخاصّة لأن جزءاً من الحائط واقع غربي هذا الباب الآيل للسقوط وقد سارع المطران المصري لاصلاحه .

وبقي الدير في حوزة الأقباط حتي القرن السابع عشر إلي أن استضافوا الأثيوبيين (الأحباش) بعد تخليهم عن أملاكهم بسبب الضرائب الكبيرة التي فرضت عليهم. وظلوا مقيمين مع الأقباط حتي عام 1820 م وبدأ الخلاف والتنافر في هذا العام بعد الطلب بإخلاء الغرف الخاصة بالرهبان الأثيوبيين من أجل القيام بعمليات ترميم للمكان، فدب القلق في نفوس الأثيوبيين خوفاً من طرد الأقباط لهم ،وعند عودة الأحباش للدير رجعوا بأعداد تفوق ما كانت عليه من قبل، وفي عام 1837م قضي الطاعون علي الاثيوبيين تماماً ، وقامت السلطات العثمانية بتحريض الأرمن علي حرق كتبهم وأوراقهم خوفاً من انتقال وانتشار المرض، وبالرجوع الي بداية الخلاف علي الدير بين الأقباط والأحباش جاء بعد استيلاء الأرمن علي ممتلكات الأحباش في القدس فاستضافهم الأقباط في أديرتهم، ونظراً لموقع دير السلطان المميز كان مطمعاً لاستيلاء الأحباش والتمسك به، وعليه كانت الأوضاع بين الأقباط والأحباش متقلبة بين التوتر والهدوء، إلي أن استقرت لمدة عشر سنوات منذ عام 1852م حيث صدرت تعليمات إلي القنصل والأسقف الانجليزيين من لندن بعدم فرض الحماية السياسة

---

[1] محمد العفيفي : مرجع سابق

[2] انتوني عبد السيد : مشكلة دير السلطان بالقدس – مكتبة مدبولي – القاهرة ط1 1991 صـ 9

[3] دمتري رزق : قصة الأقباط في الأرض المقدسة – القاهرة – ط 1967 م صـ 115

[4] عبد السيد : مرجع سابق صـ 10

[5] جرجس فليو ثاؤس عوض ، أملاك القبط في القدس الشريف – القاهرة ص1 1924 ج1 صـ 50

علي الأثيوبيين في القدس، وقد أدي ذلك إلي استقرار الأوضاع وزيادة الأمن والسلام مما زاد عدد الحجاج والرهبان الأثيوبيين في الدير فوصل عددهم إلي أكثر من 100 راهب [1]

ترميم دير السلطان وتسليمه للأقباط :-

- في نوفمبر 1863 م صدر أمر من الخارجية العثمانيةً موقعا من الصدر الأعظم إلي متصرف القدس باعتماد وتجديد مفاتيح الدير والكنيسة الملحقة به وتسليمها للأقباط، وتسارعت الأحداث وظلت محاولات الأحباش مستمرة حيث خاطبوا إمبراطورهم منليك الثاني سنة 1895م وادّعوا طرد الأقباط لهم من الدير، فلجأ الإمبراطور إلي روسيا التي تبنت الموقف وأوفدت السفير الروسي مع مندوب أثيوبيا إلي الصدر الأعظم، لتنجح الوساطة بطلب الأخير من متصرف القدس إعادة التحقيق وإفاده بالنتيجة، فكان الرد أن ملكية الدير للأقباط بموجب الوثائق والحجج واستمرت المحاولات الأثيوبية، فأوفدوا الأنبا متاوس مطران أثيوبيا المصري عام 1902م لمنحه لقب المطران والتفاوض بشأن دير السلطان وإعطائه للأثيوبيين وقد ذُكر في هذا الموضوع أن تمسك الأثيوبيين بالدير رغبة الإمبراطور طايطو في السكني به متي انتهت حياة منليك ونزلت عن عرشها وكان للإمبراطورة في سنة 1889م تطلعات بالقدس إذ طلبت من رأس ماكونين أن يشتري لها بعض الأراضي خارج سور مدينة القدس القديمة اعتقاداً أن هذا المكان قد يكون مكان الصلب وذلك لبناء كنيسة علي هذه الأرض وتم بناؤها في سنة 1901م وقد توجه وفد من مطارنة الكنيسة المصرية الي القدس وتقابلوا مع الوفد الإيطالي الذي تأكد من ملكية الأقباط ووقعت الوفود التي كان من بينهم الأنبا متاوس علي إفادة بملكية الأقباط للدير، وهكذا تأكدت حقوق ملكية الكنيسة للأقباط بشكل قاطع لا يقبل الطعن بأي حال من الأحوال ومن ضمنها دير السلطان حتي استولي عليه الرهبان الأحباش في 25 ابريل 1970م وطرد الرهبان الأقباط – المصريين – بمعاونة وتواطؤ من الأمن الإسرائيلي ومازالت المطالبات باسترداد الأقباط للدير ومن بين ما تستند إليه أن الاستيلاء علي الدير يعد مخالفاً للفرمان العثماني الصادر من السلطان عبد الحميد [1] .

2 – دير مارانطونيوس :- [2]

- يقع شمال شرقي كنيسة القيامة، وهو من ممتلكات الأرثوذكس بالقدس، وترجع أهميته إلي أنه صار مقراً للمطرانية القبطية منذ عام1912م ويقع هذا الدير إلي الشمال من كنيسة القديسة هيلانة وقد اجريت به إصلاحات عديدة أهمها تلك التي جرت في عام 1875م عندما أضيفت إليه مبان جديدة ثم عمّر الدير مرة أخري سنة 1907م وجددت أيضاً كنيسته وأساساته القديمة ويبدو أن الدير قد شيّد علي أساس كنيسة بيزنطية قديمة إذ يشير بعض الرحالة الذين وفدوا علي الدير أن به مستودع مياه باسم القديسة هيلانة وهو داخل الكنيسة القبطية في الدور الأرضي من الدير وللمستودع سلم دائري للهبوط عليه وهو مكون من (51) درجة ،وقد شيّدت كنيسة القديس أنطونيوس وتقع لصق الجدار الشمالي لكنيسة القيامة وأمامها فناء واسع مكشوف يقع علي سطح الجدار الشمالي لكنيسة القيامة وأمامها فناء واسع يقع علي سطح الدور الأرضي وفي الجهتين الجنوبية والشرقية من الفناء تقع مساكن الرهبان الأقباط، ومقر رئاسة الدير، والكلية الأنطونية ، قام المطران باسيليوس بإصلاح هيكل هذه الكنيسة، وشيد لها منبراً جديداً ،وفي الطابق الثالث توجد كنيسة أخري انشأها المطران الأنبا ياكوبوس في عام

---

[1] عبد السيد – مرجع سابق صـ 12

[1] عبد السيد مرجع سابق صـ 30

[2] مؤسسة القدس الدولية : http://www.alquds-online.org/index.php? S=13&id=729

1954م تذكاراً لظهور العذراء في هذه الغرفة لبعض طالبات مدرسة القديسة دميانة في صيف هذا العام، ويقع مقر المطران القبطي في الطابق الرابع، وبه مكتبة فخمة بالإضافة إلي نزول للضيوف والحجاج. (2)

3 – دير مارجرجس:

- يقع هذا الدير في حارة الموارنه علي مقربة من باب الخليل بجوار المسجد الأقصى المبارك، وقد شيّد في العصر العثماني القرن (11هـ/17م) وألحقت به مدرسة تعرف باسم القديسة دميانة وبالدير كنيسة بها هيكل واحد يقام فيه قداس يوم الأحتفال بعيد الشهيد مارجرجس (7 أكتوبر) وذلك مقابل إقامة الأقباط قداساً ليلة عيد الميلاد وصباحه علي مذبح الأرمن بكنيسة المهد الأرمنية في بيت لحم .

4 – كنيسة السيدة العذراء بجبل الزيتون :-

- وسمي بذلك نسبة إلي السيدة مريم ويقع بمحاذاة البلدة القديمة .

5 – هيكل علي جبل الزيتون :

- وهو قريب من كنيسة العذراء السابق ذكرها .

6 – كنيسة ماريوحنا :-

- وهي تقع خارج كنيسة القيامة بالقدس بين سوقية علوان، والطريق الذي يوصل لحارة النصاري، ويري الزائر لهذا الدير كنيسة تحت الأرض، ويرجع تاريخها إلي عام 450م والأخري فوق الأرض، وهي أحدث عهداً، وقد شيدت عام 1048م خلال العصر الفاطمي وتعدّ من منشآت طائفة الروم الأرثوذكس .

7 – كنيسة صغيرة باسم الملاك ميخائيل :-

- ملاصقة للقبر المقدس من الغرب وهي من الكنائس التي أمرت الامبراطورة هيلانة أسقف القدس بتشييدها في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي وينحدر الطريق نحوها في جنوب غرب قمة الجليل، ويذكر التقليد أن الملاك جبرائيل ظهر للعذراء هناك عندما كانت ذاهبة لتصلي في جبل الزيتون فبشرها بأنها ستغادر الحياة الدنيا بعد ثلاثة أيام [1]

8 – كنيسة الأربع حيوانات :-

- وتقع داخل دير السلطان .

9 – كنيسة المجدلانية :-

- أنشأها النبراوي مقارة ككنيسة مصرية، وكان ذلك في عهد البابا القبطي الأنبا يعقوب البطريرك رقم 50 وذلك سنة (809–829م) وقد سجل أحداث بناء هذه الكنيسة المؤرخ الشهير ساويرس ابن المقفع وأبو المكارم وغيرهم وكذلك جاءت في كتاب املاك القبط في القدس الشريف للعلامة جرجس فيلوثاؤس عوض .
- واستطيع التأكيد أن قرار الخط الهمايوني العثماني [2] ، لم يؤثر علي بناء الكنائس ، والأديرة في القدس رغم ما أثاره من جدل في مصر بل بالعكس ففي الفترة العثمانية ازدهر بناء الأديرة والدليل علي ذلك بناء دير السلطان

---

[1] مؤسسة القدس الدولية مرجع سابق

[2] الخط الهمايوني : فرمان صدر من الباب العالي الموشح بالخط الهمايوني في أوائل شهر جمادي الآخر سنة 1272هـ – فبراير سنة 1856 م في عهد السلطان عبد المجيد خان بن محمود خان (حكم الأمبراطوية العثمانية بين 1839–1861م) في الوقت الذي كان والي مصر هو سعيد باشا (حكم مصر بين عامي 1854–1863م) وشمل عدد من القرارات تخص حرية العبادات وبناء الكنائس وعمليات الإصلاح والترميم والمساواة في الوظائف ولكن هذا الفرمان أثار

بعد أن حصل ممثل الأقباط علي ترخيص من السلطان العثماني جلال الدين شاه ،والذي رحب بالبناء وظل حتي الآن المدخل الوحيد لدخول الحجاج المسيحيين الي كنيسة القيامة أقدم الكنائس في العالم .

المطلب الثاني

الفن القبطي وتأثيره علي الحياة الثقافية في القدس

- إن الفن القبطي هو فن مصري تناول جميع مرافق الأقباط، ونواحي حياتهم فهو فن ديني، وفن شعبي، أو دنيوي، ويعبر عن البيئة المصرية مع احتفاظه بشخصية فنية قوية، وطابع خاص واضح. وظل محتفظاً بمقوماته رغم انتشار الحضارات المختلفة هذا وقد كان الفتح العربي الإسلامي للبلاد القبطية وضعاً ملائماً للفن القبطي وسرعان ما أثر الفن القبطي بشدة علي الفن الإسلامي، واتجه الصناع الأقباط بتعظيم الفن الإسلامي بالفنون القبطية، وبذلك تطور الفن المصري أو القبطي في العصور الإسلامية. ونظراً لإقبال العرب الشديد علي الفن القبطي واستخدامه في مختلف فنون الرسم والعمارة، اكتسب العرب هذا الفن وأطلق عليه الفن الإسلامي ويتضمن الفن القبطي الديني التصوير الذي ظهر في الأيقونات، وصور الملائكة والرسل والقديسين، واستعملت صور الوجوه الآدمية، وصور الحيوانات لتزيين الأكفان ونسجت علي الكتان والصوف بألوان متنوعة، وهو ما ظهر جلياً في كنائس وأديرة الأقباط في فلسطين، وانعكست جميعها علي حياتهم في القدس. ومن الفنون القبطية التي تم رصدها في القدس تتمثل في :

1 – فن النسيج القبطي :

- بلغ فن النسيج القبطي من الرقي والروعة في النقوش والألوان الي حدّ أنه غزى الأسواق في كل البلاد. وبالنسبة للعرب أثر فن النسيج القبطي علي النسيج في العالم الإسلامي بشكل كبير جداً وكتب العالم كونل عام 1938م عن التقاليد القبطية في فن النسيج الإسلامي .

2 – فن الزخرفة المعمارية :-

- برع الصناع الأقباط في فن الزخرفة المعمارية وفي اظهار مواهبهم علي الحجر الجيري والخشب وكان تصميم رسومهم علي الحجر جميلاً وصناعته متقنة ، وكانت تيجان الأعمدة الحجرية تُزين بزخرفة علي نسق شغل السلال والكروم وأوراقها، وسعف النخيل، وأوراق الغار. كما كانت الأفاريز تزين برسوم تمثل الكروم، ومناظر الصيد والحيوانات والنباتات، أما الأجزاء العلوية للطاقات كانت تزخرف علي هيئة الأصداف أو الكروم أو العنب أو الأسماك، كذلك حفرت ألواح الأبواب الخشبية والأفاريز بزخارف ورسوم هندسية. وبرعوا كذلك في صناعة أدوات الزينة والحلي من أدوات مختلفة ولأغراض مختلفة فصنعوا المكاحل والأمشاط والاساور والحلقان وغيرها .
- ذكر المقريزي في كتاب أخبار مكة أن الكعبة طغي عليها قُبيل ظهور الإسلام سيل عظيم صدّع جدرانها فأعادت قبيلة تُدعي قريش بناءها مستعينة في ذلك بنجارين أقباط، وأثبتت الأوراق البردية التي عثر عليها في مصر أن الوليد بن عبد الملك استعان بالأقباط في بناء مسجد دمشق، والمسجد الأقصى في القدس، وقصر أمير المؤمنين هناك .
- ويذكر البلاذري : في فتوح البلدان أن الوليد استعان بالقبط في إعادة بناء مسجد المدينة ،وأثبت العلماء أن قصر المشتى في شرق الأردن قد نقل الزخارف القبطية، والتخطيط المعماري الخاص بالدير الأحمر، والدير الأبيض

الجدل في مصر في تحديد البناء وتنفيذ بنوده والبعض اعترض علي بنوده خاصة بعد صدور قرارات من الحكومة المصرية اعتبرها الأقباط مجحفة في حقهم .أنظر : مؤسسة القدس الدولية – مرجع سابق

بسوهاج، وذكر المؤرخون أن عمر بن عبد العزيز لما أعاد بناء الجامع النبوي في المدين استعان بمعماريين مصريين، أي أقباط بنوا فيه أول محراب مجوف في الإسلام، وهذا مأخوذ عن حنيات الكنائس، وذكر أيضاً المقريزي أن مهندساً قبطياً شيّد جامع ابن طولون بطريقة هندسية فريدة، ولقد أوضح العالم كروزيل في كثير من مؤلفاته عن الأثر القبطي علي العمارة الإسلامية. [1]

- وفي النهاية نجد أن اقباط بيت المقدس كان لهم تأثير ووجود قديم علي الأرض المقدسة ويعتبروا من أهم الطوائف التي لها آثار معمارية وفنية في القدس ولها تنوع ثقافي وانتاج تاريخي وتعايش سلمي مع المسلمين بل ان الفن المعماري الاسلامي تأثر في بعض جوانبه بالفن القبطي، وأن المهندسين المصريين الأقباط قد وضعوا لمساتهم الفنية والزخرفية علي كثير من المعالم الإسلامية.
- ومما سبق تخلص الي عدد من النتائج والتوصيات أهمها :

أولاً النتائج:-

1 – للأقباط وجود في بيت المقدس منذ الف عام رغم قلتهم ومحدوديتهم الا ان لهم الأثر الكبير وشهدوا علي جزء مهم في تاريخ بيت المقدس وخاصة بعد الفتح الاسلامي وانتعش وتزايد وجودهم في التاريخ الحديث الذي ذكر هذا الوجود في مراسلات مهمة خاصة في الحقبة العثمانية.

2 – اختلف المؤرخون في تحديد عدد الأقباط في القدس الشريف ولكن نعتقد أن العدد كبير ويفوق الآلاف بدليل العمران والآثار القبطية الموجودة في القدس والمتمثلة في الأديرة والأماكن القبطية .

3- هناك علاقة قبطية فلسطينية قديمة منذ عهد الفراعنة والكنعانيين بدليل المكتشفات الأثرية في فلسطين ومصر ولا زالت هذه العلاقة موجودة ومرتبطة، فالأقباط لم يسلموا من بطش الاحتلال الاسرائيلي، والمضايقات التي لم تثن الأقباط يوماً عن الحفاظ علي أديرتهم وكنائسهم في القدس، وهذا ما يحصل أيضا في القدس من اقتحامات للمسجد الأقصى المبارك، وتهويد المدينة المقدس وطمس معالمها الاسلامية.

4- هناك عمارة قبطية واضحة في القدس الشريف تتمثل في المعابد الكبيرة والكنائس والزخارف عليها والأديرة، وأهمها دير السلطان الذي لا يزال شاهداً ومعلماً مهماً للأقباط في القدس الشريف .

ثانياً : التوصيات :-

1 – اصدار بيان يوضح العلاقة القبطية وآثارها في القدس الشريف ودعم حقوق الشعب الفلسطيني وتحقيق حريته والعمل المشترك للحفاظ علي العمارة والفن الاسلامي والقبطي من بطش اليهود.

2 – التشجيع على زيارة الأقباط في العالم للقدس الشريف والاطلاع علي المعالم والأديرة والفن القبطي بتنسيق مع السلطة الفلسطينية وعمل حج سياحي ديني من خلال الجانب الفلسطيني.

والله الموفق

أهم المراجع :

عبد الحميد أبو النصر : الأقباط في بيت المقدس وغزة آثار وصور 2011ط1

1-عبد الحميد دياب: تحقيق مخطوط تاريخ الأقباط المعروف بالقول الابريزي للعلامة المقريزي دار الفضيلة 1441م

2-ميسة أبو غزالة : الأقباط في القدس شاهد ومسيرة- القبس الكويتية

3-محمد عفيفي : الوجود القبطي في القدس حتي القرن العشرين – عمان – ابحاث الندوة السادسة وهوية القدس العربية والاسلامية 2-5تشرين أول 1995 م

[1] عبد الحميد ابو النصر الأقباط في بيت المقدس صـ 47

4-ابو سيف يوسف : الأقباط والقومية العربية – بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية 1987 ط1
5-مايكل عادل : الأقباط والقدس بين الحق الضائع والحلم الممنوع القاهرة 2011 صحيفة روزليوسف العدد 1912م
6-انتوني عبد السيد : مشكلة دير السلطان بالقدس – القاهرة – مكتبة مدبولي
7-جرجس فليوثاؤس : أملاك القبط في القدس الشريف – القاهرة – مكتبة مدبولي 1991ط1
8-حسين عمر حمادة : آثار فلسطين – دمشق 1983ط1
9- موقع اليكتروني : مؤسسة القدس الدولية www.alquds.online.org